

التربية الروحية للأبناء وأثرها في استقرار الأسرة والمجتمع
*children spiritual education and its effects on the stability of
family and society*



عبد الحميد بولحية

¹جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

boulahia.abdelhamid@gmail.com



تاريخ النشر: 2023-04-26

تاريخ القبول: 2023-04-22

تاريخ الإرسال: 2023-04-11

ملخص:

تتناول هذه المداخلة بالدراسة أثر التربية الروحية للأبناء على استقرار الأسرة والمجتمع، حيث أن استقرار المجتمع مرهون باستقرار الأسرة بصفتها اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وإن استقرار الأسرة مرهون هو الآخر بصلاح أبنائها، وهذا لا يكون إلا عن طريق التربية الروحية للأبناء وذلك بغرس القيم والأخلاق في نفوسهم منذ الصغر، وبذلك يصبحوا أفرادا صالحين في المجتمع، متحابين فيما بينهم، متعاونين على الخير، يحاربون الفساد ويبلغون عن المفسدين، وبذلك يسلم المجتمع من الانحرافات الأخلاقية، وتقل الجرائم فيه، ويرتفع مستوى العمل والإنتاج، ويحسن الاقتصاد، ويعيش الناس في سعادة وهناء، وهو الهدف الذي تسعى كل النظم لتحقيقه.

كلمات مفتاحية: الروحية، التربية، الأسرة، المجتمع، القيم الروحية.

Abstract:

This intervention deals with the study of the children spiritual education and its effects on the stability family and society , since the stability of society is closely linked with the stability of family since it is main building blocks in society, and the goodness of society depends on the spiritual education of children and instill in their souls the moral

values .Thus,they become loving individuals with each other, helping each other,fighting corruption and denouncing the corrupt .consequently ,crimes diminish in society,and the level of production grows and the economy improves,and people live in happiness,that's the main objective most of the governing systems try to reach.

Keywords: spiritual; education; family,society; moral values;.

1- المؤلف المرسل: عبد الحميد بولحية، boulahia.abdelhamid@gmail.com

مقدمة :

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يُخلق الإنسان خلقاً مزدوجاً، جسداً وروحاً، والروح أهم من الجسد، فالله تعالى لم يأمر الملائكة أن تسجد لأدم بعد الانتهاء من خلقه، وإنما أمرها أن تسجد له بعد أن نفخ فيه من روحه، قال تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) الحجر [29]، فقيمة الإنسان في السر الذي أودعه الله فيه وهو الروح، والتي بها صار إنساناً واستحق أن يكون خليفةً لله في الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) البقرة [30]، والإنسان في هذه الدنيا في صراع بين الروح والجسد، والحرب بينهما سجال، قد تغلب الروح على الجسد فترتقي بصاحبها إلى مدارج الكمال حتى يصل إلى مستوى الملائكة أو أفضل، وقد يتغلب الجسد على الروح فينغمس في الشهوات والمحرمات حتى ينزل إلى مستوى يكون فيه أضل من الأنعام، ولذلك فإن تزكية النفس مقصد عظيم وغاية كبرى لرسالة الإسلام، بل إن القرآن علق الفوز والنجاة في الآخرة على تزكية النفس فقال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) الشمس [9-10]، وتزكية النفس تكون بالتربية الروحية بالطاعات والقربات، والبعد عن المحرمات وهذا منذ الصغر حتى يكبر الإنسان على ما تربي عليه من القيم والمبادئ والأخلاق، ويكون لها أثر على مستوى الأسرة والمجتمع، وعليه فإن إشكالية البحث تتمحور حول: أثر التربية

الروحية للأبناء على استقرار الأسرة و المجتمع، والإجابة على هذه الإشكالية تكون وفق الخطة التالية، معتمدا على المنهج الاستقرائي والوصفي:

- 1- تحديد المفاهيم.
 - 2- أسس ومبادئ التربية الروحية عند الأبناء
 - 3- وسائل التربية الروحية عند الأبناء
 - 4- أثر التربية الروحية للأبناء في الأسرة والمجتمع
1. تحديد المفاهيم

نتناول في هذا المحور تعريف التربية، وتعريف الروح، وتعريف التربية الروحية

1.1. تعريف التربية

1.1.1. التربية لغة:

من رَبَّ يُرَبُّ: بمعنى أصلحه وتولى أمره، يقال: رَبَّ الْوَلَدَ رَبًّا وِليهِ وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه¹.

2.1.1. التربية اصطلاحا

التربية هي علم إعداد الإنسان على حسب ما يريد دينه ومجتمعه وأمته².

2.1. تعريف الروح

1.2.1. الروح لغة:

ما به حياة الأنفس ويؤنت، والقرآن والوحي وجبريل وعيسى عليهما السلام روحا³.

2.2.1. الروح اصطلاحا

الروح هي تلك الطاقة المجهولة التي لا نعرف كنهها ولا طريقة عملها وهي وسيلتنا للاتصال بالله⁴.

3.1. التربية الروحية

التربية الروحية تعني زيادة الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتقرب إليه ومحبة وخشيته والتعرف عليه بآلائه وفضله، والطمع في رحمته والخوف من عقابه والإيمان بكتبه ورسله وبالיום الآخر وبالقدر خيره وشره⁵.

2- أسس ومبادئ التربية الروحية عند الأبناء: تقوم التربية الروحية للأبناء

على عدة أسس أهمها:

1.2. المراقبة

المراقبة هي استشعار مراقبة الله في السر والعلن والقول والعمل، فالواحد منا إذا علم أنه مراقب يباليغ في الانضباط ويراقب حركاته وسكناته وكل ما يصدر منه، مع أن الذي يراقبه بشر مثله ومراقبته محدودة، نعم يستطيع أن يكتب ما يقول، وأن يصور ما يفعل، لكن لن يستطيع أن يكشف عما في نفسك، ومع ذلك تدعوك مراقبته لك إلى الانضباط، فكيف إذا كان الذي يراقبك هو الله الذي يعلم السر وأخفى، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) آل عمران [5].

جاء في الإحياء: "حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، فالعبد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبة الله في الطاعة بالإخلاص، وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء، وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب"⁶.

ولذلك وجب على الآباء والأمهات أن يربوا أبناءهم على استشعار مراقبة الله لهم منذ الصغر، حتى يكبروا عليها وتكون جزءا من شخصيتهم وحياتهم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء [1].

2.2. المحاسبة

نحن عادة ما نحاسب غيرنا ولا نحاسب أنفسنا، لأننا ننظر إلى عيوب وأخطاء غيرنا، ولا ننظر إلى عيوبنا وأخطائنا، مع أن الإنسان مسؤول عن نفسه وليس مسؤولا عن غيره، والذي لا يحاسب نفسه في الدنيا يندم حين لا

ينفع الندم، قال تعالى: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ لِّحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ) الزمر [56].

وقد جاء الأمر بحاسبة النفس في القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الحشر [18]، ومعناها حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم⁷، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"⁸.

وتعرف المحاسبة بأنها "أن يتصفح الإنسان في ليله ما صدر من أفعاله في نهاره، فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وإن لم يمكن فيتبعها بالحسنات لتكفيرها، وينتهي عن مثلها في المستقبل"⁹، وللمحاسبة طريقة تتم بها، وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض، فإن تذكر فيها نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي، فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والاقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت إليه رجلاه، أو بطشت يده، أو سمعته أذناه، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟¹⁰.

3.2. المجاهدة

المجاهدة هي وسيلة الهداية القلبية إلى الله ورضوانه، والهداية هي مقدمة التقوى، وكل ذلك لا يتم إلا بتوفيق الله ومعونته، ومن هنا ندرك أن نقطة البداية الصحيحة في السير إلى الله هي المجاهدة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "والمجاهد من جاهد نفسه في الله"¹¹، وإنما كان هذا هو المجاهد لأن الهداية إلى السبل والتي منها القتال في سبيل الله لا تكون بلا مجاهدة، ومن ثم فالقتال نفسه لا يكون قتالاً مقبولاً إلا بعد هداية، ولا هداية إلا بعد مجاهدة¹².

وتعرف المجاهدة بأنها "توجيه الإرادة إلى جهاد النفس الأمانة بالسوء، ومقاومة رغباتها الذاتية والذنبوية حتى تخلص لله تعالى"¹³.
وتبدأ المجاهدة من نقطة الإيمان بالله ورسوله، فأعظم ما يحتاج إلى مجاهدة أن يقفز الإنسان من كفر إلى إيمان، أو أن يعلن إيمانه في بيئة تستنكر الإيمان أو تسخر من أهله، ثم تأتي المرحلة الثانية في المجاهدة وهي القيام بفروض الوقت من صلاة أو صيام رمضان أو أداء زكاة، أو أداء حج أو نكاح، أو ضبط معاملة من بيع أو إجارة، أو صلة رحم وبر والدين إن كان هناك رحم ووالدان، وغير ذلك من فروض الوقت، وبعد ملاحظة فروض الوقت لا بد من ملاحظة أدب الوقت، فما هو أدب وقت الصباح ووقت السحر ووقت الغروب؟ وما هو أدب الإنسان إن كان في سفر، أو في عرس أو في مأدبة أو في سجن، أو مع مجموعة، أو في مدرسة، أو دكان، أو في نزهة أو في فرح، أو في ترح؟ وهي قضايا مكملة لفروض الوقت، كما أن هناك ضبط النفس عن المحرمات والمكروهات التي تشتهيها النفس أو يصادفها السائر خلال سيره، فهذا جانب ثان في المجاهدة، ثم جزء ثالث في المجاهدة وهي قضية ما يرتبه الإنسان على نفسه من نوافل العبادات من صلاة وزكاة وصيام واعتكاف وحج وأدعية وأذكار وقراءة قرآن¹⁴.

بمعنى أنه كلما رأى من نفسه فتورا أو تقصيرا أن يحملها، بل ويجبرها على فعل ما أمر الله به، والكف عما نهى الله عنه، حتى تستقيم على شرع الله، وعلى طاعة الله.

4.2. التوبة

لاشك أن كل إنسان مسلم مطالب شرعا بأن يجاهد نفسه من أجل أن تستقيم على طاعة الله، وتنتهي عما نهى الله، ولكن مع ذلك يبقى الإنسان معرضا للخطأ والغفلة والنسيان فهذه طبيعة البشر، لا يمكن أن يكون الإنسان معصوما كالملائكة أو الرسل، ولذلك فإنه ليس الواجب الذي أوجبه الله علينا أن نكون

معصومين، وإنما الواجب الذي أوجبه علينا أن نستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب ومن كل خطيئة.

وتعرف التوبة بأنها " ترك الذنب مخافة الله، واستشعار قبحه، وندم على المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة"¹⁵، فإذا صدقت التوبة وكانت خاصة لوجه الله تعالى فإن الله يبذل سيئاتنا حسنات، قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الفرقان [70].

5.2. الإخلاص

إن العبادة هي الغاية التي خلقنا الله تعالى لأجلها، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات [56]، لكن هذه العبادة التي تستغرق حياة الإنسان بأكملها، وتشمل ميادين الحياة جميعها، لا يمكن أن تكون مقبولة عند الله تعالى إلا إذا اقترنت بالنية الصالحة وبالإخلاص لله رب العالمين، قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) البينة [5]، فلا بد أن يقترن الإخلاص بكل قول أو عمل حتى يقبل عند الله، ونجده في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

ويعرف الإخلاص بأنه "إرادة وجه الله تعالى بالعمل، وتصفيته من كل شوب ذاتي أو دنيوي، فلا ينبعث العمل إلا لله تعالى والدار الآخرة"¹⁶، فالحياة لا تستقيم إلا بالمخلصين، وأكثر ما يصيب الأمم والجماعات من النكبات والكوارث إنما يجره عليها أناس لا يرجون الله والدار الآخرة، أناس من عبدة الدنيا، وعشاق الثروة لا يبالون في سبيل دنياهم وشهوات أنفسهم أن يدمروا دنيا الآخرين ودينهم معاً، وأن يحولوا الأبنية إلى خراب والمنازل إلى مقابر والحياة إلى موات¹⁷.

6.2. العقاب والجزاء

يعتبر العقاب من الوسائل التربوية التي لا يمكن الاستغناء عنها لأن طبائع البشر تختلف في درجة الاستجابة للوسائل التربوية، فالبعض يتعظ بالموعظة، أو بالترغيب والترهيب، أو بالحوادث والعبر التي يشاهدها أو يسمعا، والبعض لا يستجيب ولا ينفذ معه إلا الألم الذي يباشر بدنه. وبالرغم من تنوع الأسلوب العقابي إلا أن الناس يتفاوتون في درجة التأثر بدرجاته، فمنهم من يستجيب للعزل، أو التفرغ، أو عدم الرضا عنه، أو الهجر، أو الحرمان، وجميعها آلام معنوية، ولكن البعض لا يتأثر إلا بالألم مادي مباشر كالضرب، وينبغي للمربي أن لا يعتمد إلى أسلوب العقوبة إلا إذا لم تؤثر الأساليب التربوية الأخرى.

3. وسائل التربية الروحية عند الأبناء: تكون التربية الروحية للأبناء بعدة وسائل أهمها:

1.3. العبادة

من المعلوم لدى كل إنسان مسلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثاً، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) المؤمنون [115]، وإنما خلقنا لحكمة جليلة وغاية عظيمة تتلخص في جوهرها في كلمة العبادة، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات [56].

ويربي الإسلام الروح عن طريق عبادة الله وحده، والتقرب إليه بأداء الفرائض والنوافل، والعبادة في الإسلام فرائض كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، ونوافل من جنس ما فرض الله على عباده من أقوال وأفعال، والفرائض والنوافل جميعاً تسهم في تربية الروح وصقلها وصفائها من خلال ممارستها لهذه الطاعات، وإن هذه العبادات قادرة على تزويد الإنسان بشحنة روحية تمكنه من التعامل مع الحياة تعاملًا يحقق مصالحه الدنيوية والأخروية، وإن العبادات في الإسلام تبدأ بالطهارة، طهارة الروح، وطهارة البدن من كل ما يحول بينه وبين الوقوف بين يدي الله في الصلاة، وإن المسلم وهو يتوضأ للصلاة فيسمى الله ويستغفره عن كل ما جنت يده وعيناه وأذناه ولسانه وقدماه،

وهو جدير أن يقبل منه هذا الاستغفار فتتاح له فرصة التوبة والإقلاع عن الذنوب وهذه طهارة لحواسه وروحه معاً، قال صلى الله عليه وسلم: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره"¹⁸، وإن الصلاة وحدها مدرسة تتعلم فيها الروح كما تتعلم فيها الجوارح، والله يصف الصلاة بقوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) العنكبوت [45]، فالصلاة إذا أديت بإخلاص تمنع صاحبها أن يمارس أي قول أو عمل قبيح فاحش، ومن نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر فقد كفر بها ذنوبه، وإن الزكاة تطهير للنفس من صفة البخل لقوله تعالى: (خذ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) التوبة [103]، وإن الصيام يطهر الروح من شهوات البطن والفرج لقوله صلى الله عليه وسلم: "... إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم"¹⁹، والحج كالصلاة والزكاة والصوم تطهير للروح كذلك²⁰، قال صلى الله عليه وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه"²¹.

2.3. تلاوة القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، والموجه إلينا نحن العباد، فمن أراد أن يكلمه الله تعالى فعليه أن يقرأ القرآن الكريم، وهو منبع الهداية ومصدرها، فمن أراد أن يهتدي إلى الحق وأن يفرق بين الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلال، فعليه بالقرآن، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) الإسراء [9]، وبهذه الهداية التي ارتضاها الله لنا تحيا القلوب، وتحيا النفوس، بل وتحيا الأمة بأكملها. إن هذه الأمة لم تكن موجودة ولم يكن لها أي أثر قبل نزول القرآن، كان الناس أمواتا فأحياهم الله بالقرآن، قال تعالى: (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) الأنعام [122]، بل هو روح بثها الله في جسد هذه الأمة فإذا هي تحيا بعد موات، وتنهض بعد سبات

لتكون خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) الشورى [49]، والقرآن الكريم شفاء ورحمة للبشرية، قال تعالى: (وَنُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء [82]، وليس المقصود التداوي من بعض الأمراض النفسية وإن كان هذا جزء، لكن المعنى أعم، فالقرآن شفاء للبشرية من كل داء، من الأمراض السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، فهو منهج حياة، وتلاوة القرآن الكريم طريق للاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وما فيه من الأحكام، وبيان الحلال والحرام، وهذه التلاوة مع التدبر والتأمل فيما جاء فيه هي مدرسة كاملة لتربية الروح.

3.3. ذكر الله تبارك وتعالى

ليس بعد تلاوة كتاب الله عزوجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى²²، قال تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) العنكبوت [45]، ولذلك جاء الأمر به في كل وقت وحين، قبل البدء في العمل، قال تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) آل عمران [159]، وأثناء العمل، وبعد الانتهاء من العمل، قال تعالى: (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) البقرة [198]، بل حتى أثناء المعركة والقتال يأمرنا الله ألا ننساه وأن نذكره، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الأنفال [45]، وهو سبب لذكر الله لنا قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ) البقرة [152]، وسبب للطمأنينة وراحة البال، قال تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) الرعد [28]، بل إنه يستوجب معية الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"²³.

4.3. الدعاء

من صفة الإنسان في هذه الدنيا الضعف والعجز، قال تعالى: (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) النساء [28]، وذلك حتى يشعر بالحاجة إلى الله سبحانه وتعالى فيلتجأ إليه بالدعاء، وفي ذلك تقوية للصلة بالله، وتطهير للقلب من الغفلة والكبر والغرور.

وقد رغب الله تعالى عباده في السؤال والدعاء، فأمر بذلك في قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) غافر [60]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة، قال ربكم ادعوني استجب لكم"²⁴ والدعاء صلة قوية بالله، ويقين من العبد بأن الله سوف يجيب دعاءه، وهذه تربية للروح²⁵. فالله يزيل كل الحواجز النفسية والمادية والبشرية التي يتوهم المرء وجودها بينه وبين الله، ويحثه بذلك على التجرد من كل شيء والتوجه إليه بقلب نقي صاف واثق من حسن إجابته عزوجل، والدعاء الحار النابع من الأعماق يغسل القلب ويطهر النفس من الأدران، ولهذا فإن الله جل وعلا يحب اللوح في الدعاء الذي يضرع إليه في سائر الأوقات والظروف²⁶.

5.3. سائر النوافل

النوافل هي الزيادة على الواجب، قال تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ) الإسراء [79]، والتهدج الصلاة بعد رقدة، ونافلة أي زيادة على الفريضة، وكما تكون النافلة بالصلاة تكون بالزكاة والصوم وغيرها، والتقرب إلى الله بأداء الفرائض أصل أصيل في الشريعة الإسلامية، كما أن التقرب إليه بالنوافل مدعاة لحب الله لعبده المتنتفل، ومن أحبه الله حبيب فيه الملائكة والناس، وأعانه في كل أمره، وجعله من الموفقين²⁷، قال صلى الله عليه وسلم: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولنن استعاذني لأعيذنه"²⁸، وبناء على ذلك فإن تربية الروح بالنوافل والعبادة عموماً تجعل الإنسان في هذه المنزلة الرفيعة من حب الله

وتوفيقه وإعانتة²⁹، معنى ذلك أن الله يحفظ لعبده جوارحه من الوقوع في الحرام فلا يقول ولا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

6.3. النظر والتأمل في خلق الله تعالى

النظر والتأمل أسلوب قرآني في تربية الروح وصلها وإزالة ما يمكن أن يعلق بها من أسباب التبدل لتصبح صافية تستطيع أن تتلقى عن الله سبحانه ما أمر به وما نهى عنه فتحظى برضا الله سبحانه، وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تدعوا إلى التفكير في خلق الله سبحانه من الناس وما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، وما ذاك إلا للتفكير الذي يولد الاتعاض والاعتبار وتقوية الإيمان، وصل الروح بعد تصفيتها من الشوائب التي تحول بينها وبين الانتهاء إلى الله والاتصال به وحبه والاقبال عليه والرضا بقضائه وقدره ومن ذلك قوله تعالى: (أَو لَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرُونَ) الروم [8]، فهذه دعوة للناس إلى التفكير والتأمل، وهذه الدعوة تسهم إسهاما كبيرا في تربية الروح وحفزها إلى إطالة النظر وعميق الفكر في مخلوقات الله تبارك وتعالى، لتحيا هذه الروح بهذا التفكير ولتستيقظ وتتطلق وتحلق في ملكوت الله لتزداد إيمانا، ولتتجدد هذه الروح وتتجلي بهذا الفكر وذاك التأمل. إن كل ذلك من تربية الروح يطى المسافات بينها وبين خالقها لتعيش في القرب منه والأنس به، وتلقي رحماته ونفحاته، لكي تنمو وترتقي في مجال العبودية لله تعالى، وتتزكى وتتطهر من كل ما يحول بينها وبين الله³⁰.

4. أثر التربية الروحية للأبناء على المجتمع: للتربية الروحية للأبناء آثار متعددة نذكر منها:

1.4. الاستمرار في العمل:

إن للإخلاص أهمية كبيرة في مجال العمل، إذ أن الإخلاص يمد العامل بقوة الاستمرار مما يرتفع مستوى العمل، وينمو الإنتاج، ويتحسن الاقتصاد، وبالإهمال يتدنى مستوى الإنتاج، وتفسد الأعمال، وتنشق العلاقة بين أرباب

الأعمال والعمال، وتحدث الفرقة بدل الألفة³¹، لأن الذي يعمل للناس، والذي يعمل لشهوة البطن أو الفرج، يكف إذا لم يجد ما يشبع شهوته، والذي يعمل أملاً في شهرة أو منصب يتراخى ويتناقل إذا لاح له أن أمله بعيد المنال، والذي يعمل لوجه الرئيس أو الأمير ينقطع أو يتوانى إذا عُزل الرئيس أو مات الأمير، أما الذي يعمل لوجه الله فلا ينقطع ولا يبتني ولا يسترخي أبداً، لأن الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول³².

2.4. خلاص المجتمع من الفساد

إن ثمرة الإخلاص ليست مقصورة على الآخرة فحسب، وإنما الإخلاص مطلوب لكي تستقيم الأمور في هذه الدنيا، ويصح الصحيح، ويحق الحق، ويبطل الباطل، ويسود الخير، ويقوم العدل، ويزول الظلم، وتتخلص المجتمعات من آثار الفساد، إنما تفسد الحياة وتختل موازينها إذا اختفى الإخلاص وبرز النفاق، وعلا صوت المنافقين، وراجت بضاعتهم، إن هؤلاء لا يباليون في سبيل شهوات أنفسهم ومصالحهم المادية الدنيوية أن يجعلوا الأقرام عمالقة، والشياطين ملائكة، واللصوص أشرف الناس، وأن يتهموا الشرفاء، ويخونوا الأمناء، ويكذبوا على الأبرياء، وإن حب الدنيا ومظاهرها الكاذبة من المال والجاه والمنصب هو الذي صنع الجبابرة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، والذي مكن لهؤلاء ومهد لهم الأرض هم المنافقون الذين يبررون كل تصرفاتهم، ويجعلون كل أقوالهم حكماً، وكل أعمالهم بطولات، ولا ينفذ الأمم من الضياع والفساد إلا المخلصون الذين يعملون لله وللحق³³.

3.4. مجتمع مترابط ومتماسك

تقوم التربية الأخلاقية بإقامة مجتمع قوي البنیان، مترابط الأطراف، مستقر وهادئ، تسود بين أفرادها المودة والرحمة والعدالة، ولا تكون بينهم صراعات، فهو مجتمع خير، لأن كل فرد يسعى لتحقيق الخير لغيره كما يسعى لنفسه، ويحب غيره كما يحب نفسه، ويكف شره عن غيره كما يكف شره عن نفسه³⁴، وإن العبادات هي من تحقق هذا التعاون والترابط، فالصلاة تعلم الأمة

وتربيتها على أن كل واحد منهم في أمس الحاجة إلى الآخر، لأن كل واحد منهم تضاعف صلواته إلى سبع وعشرين ضعفا لمشاركة غيره له في الصلاة، وكذلك الذي يدفع الزكاة في أمس الحاجة إلى مسلم مستحق للزكاة، كما أن إعطاء الزكاة تولد الألفة والمحبة، وتعلم الإنسان التعاون، وكيف يبحث عن إخوانه والمستحقين لها، فالزكاة والصدقات تصب في قلوب المحتاجين فيضا من الألفة والحب والتعاون، وتنزع عنهم حالة البؤس التي قد تجر إلى الانحراف، وفي الصيام شعور بالجوع والظمأ يذكر العاقل بحرارة الجوع وألم الفاقة التي يتألم منها الفقراء والمساكين فيحن ويعطف عليهم³⁵، أما إذا أهملت التربية فيتحول المجتمع عندئذ إلى مجتمع فاسد، لا أمان فيه على النفس والمال والعرض، وكل يسعى إلى مصلحته الخاصة ولو كان على مصلحة الآخرين أو مصلحة المجتمع، ومن ثم يزول كل التعاطف الإنساني من التعاون والمحبة، ثم تكون عاقبة ذلك الخراب والهلاك³⁶.

4.4. وقاية من الانحراف

كما أن العبادات تربي في النفس الفضائل الخلقية، فهي وقاية من الانحرافات الخلقية، لما تنبته في القلب من خوف الله تعالى، وطلب مرضاته، ورجاء رحمته، ولأن فيها تذكيرا مستمرا للإنسان بربه من خلال ربطه بالعبادات، والعبادات تنهى عن كل فعل تستنكره العقول والفطر، فالمواظبة على الصلاة تحمل صاحبها على ترك الفواحش والمنكرات، قال تعالى: (إِنَّ أَوْلَىٰ صَلَاةٍ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) العنكبوت [45]، والزكاة تقضي على الرذائل الخلقية، وهي وقاية للمجتمع من الانحراف، والصوم يروض النفس على لزوم الطاعات وترك المنهيات، فهو يمنعه من شهادة الزور ويقيه من الرذيلة³⁷، ولذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الشباب الذي لا يستطيع الزواج بالصوم فقال صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"³⁸.

5.4. مجتمع سعيد وخير

إن للتربية الأخلاقية دورا في بناء مجتمع سعيد، ولا يمكن للمجتمع أن يسعد إلا إذا كان خيرا، لأن السعادة تأتي إلى المجتمع نتيجة سيادة الخير فيه، وزوال الشر منه، وسيادة روح الأخوة الإنسانية، لا فرق ولا تفريق في المعاملة ولا في الحكم والقضاء بين غني وفقير، وبين أبيض وأسود، وبين حاكم ومحكوم³⁹، إنه مجتمع يقوم على الحق، لا غدر ولا عدوان فيه، ويقوم على القيم الإنسانية التي لا تهمل الواقع المادي، والإنتاج المادي، ويوجه الطاقة الإنشائية للناس في سبيل البناء والتعمير والخير⁴⁰، ولا يستطيع أن يقوم بهذا الدور غير التربية الأخلاقية لجميع أفراد المجتمع حتى يصبحوا كلهم أخيارا⁴¹.

6.4. مجتمع منظم وقوي

مجتمع تسوده روح الخضوع للنظام، ويسود أفراده روح التعلق بالمجتمع، والوعي الكامل بوحدته من حيث ترابط المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والإنسانية لدرجة أن كل فرد فيه ينظر إلى أنه عضو متصل بجسمه، فلا يقوم بأي عمل من شأنه أن يضر هذا المجتمع أيا كان هذا الضرر، وإيثار مصلحة المجتمع على مصلحته الخاصة ومن ثم ينظر إلى الفرد إلى أن حياته مرهونة بحياة الجماعة، وأن المجتمع ينظر إلى أن حياته مرهونة بدوام أفرادها⁴²، وقد عبّر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"⁴³.

7.4. مجتمع إيجابي

يسود هذا المجتمع الروح التقدمية في المجالات المختلفة، ذلك أن الروح الأخلاقية طاقة فعالة تدفع الناس إلى التسابق في الأعمال الخيرة في المجالات المختلفة، فعندما تستقر هذه الروح في النفوس عن طريق التربية الأخلاقية تصبح طاقة فعالة تدفع كل إنسان لأن يبذل ما عنده من إمكانيات ليسبق الآخرين في عمل الخيرات، قال تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) البقرة [148]، ثم إن كل فرد بتلك الروح كما يسرع لفعل الخيرات يسرع أيضا لإزالة الشرور في المجتمع،

وكل ذلك بعد أن يكف شر نفسه عن غيره، ومن ثم تزول الجرائم من المجتمع، إذ أن الجرائم من العوامل العائقة عن التقدم الاجتماعي نظرا لما تخسره الدولة من أموال بسبب الاختلاسات، وما تستهلكه نفقات التقاضي والسجون⁴⁴.

خاتمة:

إن الأبناء نعمة من نعم الله تعالى علينا، وقد جعلهم الله تعالى صدقة جارية لوالديهم بعد وفاتهم، وحتى يكونوا كذلك لابد من تربيتهم تربية روحية، وذلك بغرس والقيم والأخلاق في نفوسهم منذ الصغر حتى تصبح سلوكيات عندهم، وبذلك يصبحون أفرادا صالحين، نافعين لأنفسهم ولغيرهم ولدينهم ومجتمعهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحاربون الفساد، ويساهمون في تنمية وتطور بلدهم واستقرار مجتمعهم، وهذه التربية تبدأ بمجاهدة النفس وحملها على الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي حتى تستقيم على طاعة الله عن طريق استشعار مراقبة الله في السر والعلن وفي القول والعمل، ثم تخصيص وقت لمحاسبة النفس عن كل ما صدر منها، فإذا رأى من نفسه انحرافا أو تقصير سارع إلى التوبة والاستغفار، ولا بأس أن يؤدب نفسه بين الحين والآخر ولو بحرمانها من بعض مشتبهياتها.

- النتائج: بناء على ما سبق نخلص إلى القول بأن:

العبادة بمفهومها الواسع هي أهم وسيلة لتربية الروح عند الأبناء، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة تطهر النفس من الشح والبخل، والصيام جنة من الوقوع في المعاصي، والنوافل سبب لمحبة الله، والذكر راحة للنفس، والدعاء تقوية للصلة بالله، والقرآن الكريم شفاء من كل الأمراض، وهداية لمرضاة الله، وبذلك تقي المجتمع من الانحرافات الأخلاقية لما تغرسه في القلب من حب الله واستشعار مراقبته والخوف منه، كما تنشئ لنا جيلا قويا متماسكا، تسوده روح المحبة والأخوة والتعاون، ويُعوّل عليه في نهضة وبناء الأمة.

- التوصيات: في ختام هذا البحث اقترح ضرورة ربط الأبناء منذ الصغر بالمؤسسات الدينية من مدراس وقرآنية ومساجد وكتاتيب وزوايا، حتى يتعلموا القيم والمبادئ والأخلاق منذ الصغر، وحتى لا يجرفهم تيار الانحراف، بالإضافة إلى غرس معاني حب الوطن والحفاظ عليه والمساهمة في بنائه والتضحية من أجله في نفوس الأبناء منذ الصغر ليكون ذلك بمثابة عقيدة لديهم.

الهوامش:

1. مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، مادة ربّ، ط4، ص321
2. مقداد يالجن، 1992، التربية الأخلاقية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب، ط1، ص59
3. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، 2008، القاموس المحيط، القاهرة، دار الحديث، مادة روح، ص679
4. محمد قطب، 1993، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ط14، ج1، ص40
5. محمد جميل بن علي خياط، 1994، الإعداد الروحي والخلقي للمعلم، المملكة العربية السعودية، ص60.
6. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، 2005، إحياء علوم الدين، بيروت، دار ابن حزم، ط1، ص1771
7. أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير، 2002، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار ابن حزم، ط1، ج4، ص2860
8. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مرجع سابق، ص1777
9. محمد نصر الدين محمد عويصة، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ج4، ص56
10. ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص10، 11
11. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند الأنصار، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، حديث رقم 23951، ج39، ص375

- 12 .سعيد حوى، 1999، تربيتنا الروحية، القاهرة، دار السلام، ط6، ص119
- 13 .يوسف القرضاوي، 2000، النية والإخلاص، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، ص122
- 14 .سعيد حوى: تربيتنا الروحية، مرجع سابق، ص121
- 15 .صالح بن غانم السدلان، 1994، التوبة إلى الله، الرياض، دار بلنسية، ط4، ص10
- 16 .يوسف القرضاوي، النية والإخلاص، مرجع سابق، ص11، 52، 53
- 17 . المرجع نفسه، ص14
- 18 .أبو عبد الله مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، حديث رقم 245، ج1، ص149
- 19 .محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، حديث رقم 1904، ج3، ص26
- 20 . عبد الحلیم محمود، 1992، تربية الناشئ المسلم، المنصورة، دار الوفاء، ط2، ص185، 186، 187، 188، 189
- 21 .محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم 1521، ج2، ص133
- 22 . عبد الحلیم محمود، تربية الناشئ المسلم، مرجع سابق، ص191
- 23 .محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ويحذرکم الله نفسه، حديث رقم 7405، ج9، ص121
- 24 .أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، باب حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 18353، ج30، ص299
- 25 . عبد الحلیم محمود، تربية الناشئ المسلم، مرجع سابق، ص193
- 26 .غازي صبحي أق بيق، 2009، التربية الروحية في الإسلام، دار المعمور، ط1، ص126، 127
- 27 .المرجع نفسه، ص193
- 28 .محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم 6502، ج8، ص105
- 29 . عبد الحلیم محمود، تربية الناشئ المسلم، مرجع سابق، ص193
- 30 . المرجع نفسه، ص194، 198، 199

- 31 . خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص186
- 32 . يوسف القرضاوي، النية والإخلاص، مرجع سابق، ص106
- 33 . المرجع نفسه، ص114، 115
- 34 . مقداد يالجن، 1983، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط1، ص68
- 35 . خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص122، 123
- 36 . مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، مرجع سابق، ص68
- 37 . خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص128، 131
- 38 . محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث رقم 5065، ج7، ص3
- 39 . مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، مرجع سابق، ص161
- 40 . محمد قطب، 1993، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ط14، ص221
- 41 . مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، مرجع سابق، ص70
- 42 . مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، مرجع سابق، ص161، 162
- 43 . أبو عبد الله مسلم بن الحجاج أبو يوسف القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم 2586، ج8، ص20
- 44 . مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، مرجع سابق، ص75، 84

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- 1- ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة
- 2- ابن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد، 2008، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1
- 3- ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر، 2002، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار ابن حزم، ط1، ج4
- 4- الحازمي خالد بن حامد، 2000، أصول التربية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب، ط1

- 5- حوى سعيد، 1999، تربيتنا الروحية، القاهرة، دار السلام، ط6
- 6- السدلان صالح بن غانم، 1994، التوبة إلى الله، الرياض، دار بننسية، ط4
- 7- محمود عبد الحليم، 1992، تربية الناشئ المسلم، المنصورة، دار الوفاء
- 8- آق بيق غازي صبحي، 2009، التربية الروحية في الإسلام، دار المعمور، ط1
- 9- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، 2008، القاموس المحيط، القاهرة، دار الحديث
- 10- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين، إغائة اللهفان من مصاديد الشيطان، الرياض، مكتبة المعارف، ج1
- 11- البخاري محمد بن إسماعيل، 2012، صحيح البخاري، وهران، الألفية الثالثة للنشر والتوزيع، ط1
- 12- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، 2005، إحياء علوم الدين، بيروت، دار ابن حزم، ط1
- 13- خياط محمد جميل بن علي، 1994، الإعداد الروحي والخلقي للمعلم، المملكة العربية السعودية
- 14- قطب محمد ، 1993، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ط14، ج1
- 15- عويصة محمد نصر الدين محمد، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ج4
- 16- مسلم بن الحجاج أبو عبد الله أبو الحسن القشيري النيسابوري، 1991، صحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1
- 17- يالجن مقداد، 1992، التربية الأخلاقية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب، ط1
- 18- يالجن مقداد، 1983، دور التربية الأخلاقية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط1
- 19- القرضاوي يوسف، 2000، النية والإخلاص، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1
- 20- مجمع اللغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، ط4